الفصل السادس
التركستان تحت حكم الأوزبك

التركستان فى ظل حكم الأوزبك
(٩٠٦-١٠٠٦هـ/ ١٥٠٠-١٥٩٧م)

تحدثنا فى الفصل السابق عن دور التيموربين الأتراك فى حكم بلاد التركستان وقبلهم كان الحديث عن المغول أتباع جنكيز خان فى حكم هذه البلاد، وكان هذا الفصل عن حكم الأزربك أيضا لنفس الإقليم محور الدراسة، ولكن نسأل سؤال من هم الأوزبك هل هم عناصر مغولية أم تركية أم مغولية تركية فإن الدراسة تقتضى إعطاء إشارة بسيطة عن سلالة هذه العناصر الجنسية وإلى أى القبائل البدوية التى عاشت فى وادى نهر جيحون تنتسب.

ونقول دون الوقوع فى تأويل لكن إثبات لدراسات سابقة وحقائق تاريخية وانتربولوجية اتفق عليها العلماء بأن الأوزبك هم سلالة مغولية تركية مختلفة فهم ليسوا عنصرا مغوليا أو تركيا خالصا، وهذا الاختلاط أو الامتزاج بين العنصرين ليس مستغربا، لا سيما العلاقات والروابط والسكنى المجاورة، أو هناك العديد من الأسباب التى جعلت الاختلاط شيئا عاديا لا سيما منذ القرن العاشر الميلادى إلى الثالث عشر عندما زحفت جحافل المغول على الديار الإسلامية ولكن الزحف المغولى والاختلاط ودخول الإسلام كان من العوامل التى أدت إلى الاختلاط وإلى ظهور عنصر الأوزبك، والقبيلة الأوزبكية فى أصولها الأولى مغولية بها شبهة تركية بالاختلاط والمصاهرة، وقد ظهرت كلمة أوزبك فى الوثائق منذ القرن الثانى عشر الميلادى ١١٥٠ م.

أما عن موطنهم الأصلى فإنه فى الغالب كان عند شواطئ نهر أورال وأسيا أولا، وبعبارة أخرى ما يعرف بأراضى القبيلة الذهبية، وهناك بعض المؤرخون يجعلون موطن الأوزبك فى مرتفعات توران التى تمتد صوب الشرق نحو بحر قزوين (الخزر) وقد لا يكون هذا صحيحا لأن الأوزبك كانوا يرعون قطعانهم إلى

الجنوب من خوارزم، إلا أنهم لـم ينفذوا من ناحيـة الشمال الشـرقى إلا أبعد من المجرى الأدنى لسيحون حتى سقوط أسرة التيموريين.

وينسب الأوزبك إلى زعيـمهم أوزبك خان Uzbek Khan الذى كان زعيما للقبـيلة فى عام ١٣١٣ - ١٣٤٠ م، والذى اشتـهر بتحـمسه لنشـر تعاليم الدين الإسلامى وحرصه عـلى تحويل كثير من قبـيلته على هذا الدين، وقد نجح أوزبك على الرغم مما لقـيته جـهوده من مـقامـومة شديدة فـى تركهم دين جنكيـز خان الشامانية Shamanism وقد اعتق كثيرين منهم وتحويلهم إلى ذلك الدين الذى كان من أشد أتبـاعه ممارسة وصـلابة، وإليه يرجع الفضل فى توطيـد دعائمه وتثـبيت أركانه فى البلاد التى كانت سلطانه، ومما يدل أيضـا على نفوذ أوزبك ما نجده من القبائل الأوزبكية فى أواسط آسـيا التى اشتقت اسمها من اسـمه والتى لا يبعد أن تكون قد تحولت إلى الإسلام فى عهـده، ويقال: أنه وضع خطة لنشر الإسلام فى كافـة أرجاء روسيا ولكـن هذه الخطة لم تصادف نجاحـا رغم مما أظهره أوزبك من التحمس فى نشر الإسلام وتفانيه فى الإخلاص له.

وعلى هذا فإننا نجـد قبائل الترك المغـول التى سكنت المناطق الشرقيـة لبلاد القبيلة الزرقاء وهو الإقليم الواقع بين الفولجـا وبحر آرال تنسب تشريفا لها، وعلى هذا نسب قوم جـورجى إلى أوزبك هذا السابق الإشـارة إليه فى السطور السـابقة وهو تاسع الحكام فى بيت جورجى فيشتهر باسم قبيلة الأوزبك، وفى تاريخ التتار يذكر أن أوزبك كـان يكافئ كل شخص ويـكرمه، وقبل ظهـور أوزبك هذا ظلت هذه القبائل فى منازلهم بعيدين عن مؤثرات الحضارة الإسلامية التى كانت فى بلاد ما وراء النـهر على طبـيعة البـرابرة، ولهم عاداتهـم وقد تأثروا بمؤثرات الحـضارة التيـمورية، وقد ذاع صيـت الأوزبك فى السهول الشرقـية وذاع باسمـها فى تلك الجـهات حـتى استنجـد به الأمراء التـيمـوريون، وقد كـان هؤلاء الأوزبك رغم اعتناقهم الإسلام لازالوا على عادتهم وتقاليدهم فى حين كان الأتراك عند جيحون وسيحون يقبلون بالتدريج إلى لغـة إيران وآدابها وحضارتها، كان هؤلاء لا يزالون يرفلون فى جلد الماعـز والخيول ومـا لبثوا أن أخـذوا بالأساليب الحضـارية وتركوا العادات الماضية. وهناك أقـوال تذكر أن لفظ الأوزبك يعنى البرابرة الذين يسكنون المناطق الشمالية الـشرقية، ثم تبدلوا فيمـا بعد وقد استخدمهم الأمـراء التيموريون

(انظر الفصل السابق) وكان الأوزبك يلبون هذه المطالب، لأنهم يعودون مثقلين بالغنائم.

وأول من ذاع أسمه فى الأوزبك أبو الخير ثم بعد وفاته ظهر اسم ابنه (شيخ حيدر) سلطان الأوزبك لكن رأوا فى صفيد أبى الخير (محمد شيبانى) - والذى استطاع الاستيلاء على سمرقند فى عام ٩٠٦ هـ - ١٥٠٣ م لاسيما بعد أن أصبح على رأس قوة من الأوزبك ومن ثم اضطر إلى محاربة التيموريين فى بلاد ما وراء النهر واستطاعوا الاستقرار فى الحدود الشمالية الغربية من بلاد ما وراء النهر وفى تلك المناطق شعر الأوزبك أنهم ينزلون فى بلاد ليست غريبة عليهم وقد تم لهم السيطرة على مدن (أترار، سراه) وكانت هذه البلاد بداية تكوين الدولة الأوزبكية وكان قد اتجه إلى سمرقند عام ٩٠٥ هـ - ١٤٩٩ م، واستمر فى التقدم فى الأقاليم حتى اضطر إلى العودة من حيث أتى، لكنه غامر مرة أخرى عام ٦٠٩هـ، بالزحف على سمرقند فى جيش كبير العدد ومعه زعماء كبار القواد.

وقاومت العاصمة الحصار الذى فرضه محمد شيبانى لثمانية شهور وكان فى إمكانها أن تصد الأوزبك لولا المجاعة التى نزلت بها، وقد دخل المدينة شيبانى من أحد جوانبها فى هدوء، وقد أذهل دخوله أهل المدينة فاستسلمت وكان ذلك فى خريف عام ٩٠٦ هـ - ١٥٠٠ م، وهكذا سقطت سمرقند وسقط معها سلطان الدولة التيمورية وانقض الأوزبك على المدينة، لكن سكانها كانوا قد غادروها وعامل (محمد شيبانى) سكان الدولة التيمورية المقهورة بمنتهى القوة والشدة، لأنه كان يدرك مدى قوة أعدائه التيموريين.

وهكذا غدت بلاد ما وراء النهر كلها فى أيدى الأوزبك بعد قتالهم مع بقايا التيموريين ومن ثم وضع شيبانى خان الأوزبك هدفه نحو خراسان قم بعد ذلك كايل وغزنه لا سيما بعد أن فشلت خطط التيموريين فى خراسان فى التوحيد فزحف شيبانى إليها فى عام ٩١١ هـ - ١٥٠٥ م، وحقق عدة انتصارات عليهم ليصبح محمد شيبانى من بعد ذلك ولا شىء يعوقه عن التقدم نحو الأقاليم الجنوبية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحون، ثم كان التحرك نحو خوارزم وكان على الأزبك أن يواجهوا التركمان واستعدوا بكل قوة لاقتحام أكبر حصون خوارزم، وحقق محمد الشيبانى العديد من الانتصارات وذلك بعد دخوله كابل

وفارس وكل بلاد الأفغان وخراسان وسبستان، وكانت هراة قد فتحت أبوابها للعدو الأوزبكى فدخلها محمد شيبانى فى الحادى عشر من المحرم عام (٩١٣ هـ - ٢٤ مايو ١٥٠٧ م).

وكان الأوزبك قد اكتسحوا كل هذه الأقاليم والبلدان فى سرعة خاطفة وأخذت حصونها تتهاوى فى أيديهم بعد أن انتقضوا على الجيش التيمورى فى كل مكان كانوا يذهبون إليه، وعندما توفى محمد شيبانى عهدوا بالحكم من بعده لابنه الأكبر (محمد تيمور سلطان) وهكذا آلت الأمور فى الأقاليم الواسعة هذه إلى حفيد أبى الخير الأوزبكى، الذى عمل من جانبه إلى سجل اسمه فى تاريخ كبار قواد التاريخ كجنكيز خان وتيمور لنك.

وقد تمكن بقوة السلاح من أن يجعل له اسما عريضا فى عالم شرق الدولة الإسلامية وهكذا عهد محمد شيبانى خان إمبراطورية واسعة لأبناء محمد تيمور سلطان بعد أن طرد الأمراء التيموريين جميعا من بلاد ما وراء النهر، وهاجم الأتراك وقد صاروا جميعا فى نطاق دولة الأوزبك، وكان شيبانى خان قد بعث عام ٩١٤ هـ - ١٥٠٨ م، إلى الشاه إسماعيل الصفوى شاه فارس يهدده باحتياج بلاده إن لم يعدل المذهب الشيعى ويمسك عن حمل الناس عليه قهرا، لكن إذاء هذه الرسالة بعث إسماعيل الصفوى صاحب فارس إلى خان الأوزبك يسأله فى لطف أن يمنع جنده من التسرب إلى أراضية جنوب خراسان وكرمان ويوقف عدوانهم، فرد عليه الآخر ردا قاسيا وهكذا بدأت الحرب بين الطرفين وتقدم الشاه الصفوى خراسان ودخل مشهد واقتحم مدينة هراة حتى إذا بلغ مدينة مرو أوقف محمد شيبانى زحفه أمامها.

وكان الشاه إسماعيل الصفوى قد أهمل الرد على الأوزبك فرأى شيبانى من وجهة نظرة هذه الضعف دولة فارس فكان إصراره على التوسع وكان سنه فى ذلك الوقت قد تجاوز الحادية والستين من عمره فتوغل بجميع قوت الأوزبك من خراسان وعندما وصل إلى كرمان وجد رسول من قبل الشاة إسماعيل يحذره من التوغل جنوبا وهناك اشتد التعب بالفاتح الأوزبكى وكان إسماعيل قد أتم استعداداته لخوض غمار حرب طويلة الأجل، وكان الشاة إسماعيل قد تقدم بالفعل إلى مشهد فى جيش عظيم، وكانت هناك أحداث جسام تقع فى بلاد ما وراء النهر

وبينما توقف الأمير الأوزبكى عند مرو يدرس الموضوع من جميع جوانبه إذ بعدوه الصفوى يحرز انتصارات ويطرد القوات الأوزبكية وبنقص على مؤخرة الجيش الأوزبكى وكان قد حان الأوان وقتل الشيبانى الأوزبكى هو وجميع رجاله، ولم يرجع إسماعيل الصفوى من قتال أعداءه حتى خضعت له جميع خراسان وصار نهر جيحون هو الحد الفاصل بين الأوزبك ودفن محمد الشيبانى الأوزبكى بالمدرسة التى أقامها بسمرقند عام (٩١٩ هـ - ١٥١٠ م).

وهكذا ختم نور الزعامة الدينية والاجتماعية فى هذه البلاد حيث نزل محمد شيبان السهول الشمالية إلى الوديان الزراعية وغدت بلاد ما وراء النهر قد عزلت تماما، وعاد نهر جيحون مرة أخرى الحد الفاصل بين الثقافة الفارسية والبيئية التركية المغولية الأوزبكية.

التركستان بعد وفاة زعيم الأوزبك محمد الشيبانى:

بعثت هزيمة الأوزبك على يد الفرس الصفويين الشيعة الآمال فى بقايا الجيش المغولى بالعودة إلى تولى الحكم فى بلاد التركستان بعد أن وقف نهر جيحون حدا فاصلا بين أطماع الأوزبك ومطالب الصوفيين لا سيما أن فارس قد أمدت بقايا التيموريين ممثلة فى باير عمر شيخ ميزار حفيد تيمور لنك التركى بجيش قوى توغل به فى بلاد ما وراء النهر حتى سقطت بخارى ودخل سمرقند وذلك فى منتصف عام (٩٢٠ هـ - ١٥١١ م)، ولكن لم تمض أشهر قلائل بسمرقند حتى تمكن محمود تيمور بن شيبانى خان من استرداد بخارى وإنزال هزيمة قاسية ببقايا التيموريين بعد أن كانوا قد تخلصوا من الجند الفارسى الذى عاد إلى بلاده مما دفع (باير) بالاستنجاد بالصفوى مرة أخرى الذى أمده بقوات كثيفة العدد واستخدم أسلوب الإباده التامة، وإيذاء هذه المخاطر لم يكن أمراء البيت الأوزبكى سوى طلب عقد الصلح مع الشاة إسماعيل، لكن الصلح لم يتم طويلا لكن أمراء الأوزبك رأوا ما يهددهم من خطر فجمعوا جموعهم عند بلد (خجد بوان) واشتبكوا مع أعدائهم انتهى فى رمضان (٩٢٠ هـ - ١٥١٤ م) بهزيمة الفرس وحلفائهم من بقايا التيموريين ومقتل قائدهم (أمير بار أحمد أصفهان) وهكذا انتصر الأوزبك على لفرس وجاءت هذه المعركة التى كان يرمى

الشاة إسماعيل بها إلى حماية خراسان، لكن الأوزبك حققوا انتصارات باهرة وتقدموا عبر ترمذ حتى بلغوا بلخ فلم تمضى إلى أشهر قليلة على انتصار (خجد بوان) حتى كان الأوزبك قد استحوذوا ثانية على كل الأقاليم التى كان جدهم الشيبانى قد كسبها ولم يعمد الأوزبك إلى ارتداد عبر جيحون حتى علموا بقدوم الشاة إليهم وإن كانت قوات الأوزبك قد اندفعت فعبرت نهر جيحون ودخلوا خراسان بعد ان تضطر الشاة الصفوى لسحب قواته لمواجهة حكام القسطنطينية العثمانيين لكن قوات الأوزبك بقيادة عبد الله حاكم بخارى استكمل استعداداته الحربية واستعدوا استعدادا لملاقاة عدوه وقام بغزو خراسان للمرة الرابعة عام (٩٣٥ هـ - ١٥٢٨ م) فى حشد انضم فيه كل أمراء الأوزبك الكبار، وعبر جيحون دفعة واحدة، وكان الأوزبك قد احرزوا الانتصار لكن الجيش الفارسى سار على نهج خطط العثمانيين إلى الاحتماء وراء العجلات الحربية، ورغم ذلك فإن الأوزبك اخترقوا خطوط عدوهم رغم تسلح الفرس بالبنادق ولعجلات الحربية ولكن قوة الفرس تمكنت من تشتيت شملهم فى حين سقط خمسون ألف من الأوزبك وعشرون ألف من الفرس.

لكن فى عام (٩٣٨ هـ - ١٥٣١ م) تقدم عبد الله الازوبكى للمرة الخامسة جنوبا إلى هراه وزحف ابنه عبد العزيز إلى مشهد لكنه هزم على يد الفرس والعثمانيين، وبذلك حانت الفرصة لحاكم الفرس (طهاسب) وبدأ يتجه شمالا بدلا من الغرب نحو إقليم خراسان الذى اغتصبه الأوزبك وهنا لك سارع الأوزبك بترك هذه الديار والعودة إلى بلادهم شمالا.

وآل حكم بلاد ما وراء النهر إلى عبد الله عام (٩٤٠ هـ - ١٥٣٣ م) ذلك لأن عمه الشيخ العجوز (كجكونجى) قد أتاه اجله عام (٩٣٧ هـ - ١٥٣٠) وخلفه ابنه أبو سعيد خان الذى مات بعد ثلاث سنوات، لكن عبد الله هذا توفى عام (٩٤٦ هـ - ١٥٣٩ م) بعد ان حكم ست سنوات فقط، كان قد شرع عام (٩٤٢ هـ - ١٥٣٥ م) وحتى وفاته فى غزوة خراسان وأنه تمكن من انتزاع هراة لكنه كانت آخر غزواته لخراسان غزوة فاشلة عام (٩٤٦ هـ - ١٥٣٩) لكنه حاول إعادة إقليم خوارزم إلى حكم بخارى وسمرقند ولكنه مات وهو يعد عدته لغزو هذه البلاد.

وبعد وفاته حدث إنقسام فى إقليم التركستان وبلاد ما وراء النهر حيث أدت وفاته المفاجئة وهو لم يبلغ السادسة والخمسين من عمره إلى إشاعة الفوضى بين الأوزبك حيث تم تقسيم عرش البلاد بين أبناء (كجكونجى) وأبناء شيبانى، لكن لم يتم لهم الاستمرار فى الحكم ذلك لآن الغالبية العظمى من أمراء الأوزبك فى بلاد ما وراء النهر كانوا قد سئموا القتال المتواصل مع الجانب الفارسى فعملوا على إقامة علاقات سليمة ميعهم وجاءوا بالسلطان عبد العزيز بن عبد الله ليكون له الحكم منذ (٩٤٨ هـ - ١٥٤١ م) بعد أن عاشت البلاد فى صراع من أجل من يكون له العرش والسلطان دام عامين (٩٤٦ - ٩٤٨ هـ)، إلا فترة عبد العزيز هذا كانت فترة قصيرة لكنها استمرت عشر سنوات (٩٤٨ - ٩٥٨ هـ / ١٥٤١ - ١٥١م) قضاها فى أحياء السنة وبناء المساجد وتعمير المنشأت والوقوف فى وجه المذهب الشيعى للزحف شمالا فى بلاد ما وراء النهر بل أنه لم يتحرك لجنوب جيحون للتوغل فى خراسان إلا مرة واحدة حيث قام بغزو إقليم بلخ، وكانت البلاد قد انهكتها الحروب الأهلية الطويلة، والحروب مع الجانب الفارسى منذ عام (٩١٤ هـ - ٩٤٨ م) طوال أربعة وثلاثين عاما والتركيز على الجهة الجنوبية المجاورة لفارس وإهمال الإزبك لشئون الدفاع عن الدولة لاسيما المناطق الشمالية التى تعرضت لغزو القبائل البدوية التركية القادمة من فرغانه (طشغند).

وسادت البلاد حالة من الفوضى طوال ثلاث سنوات (٩٥٨ هـ - ٩٦١ م) حتى تم اتفاق أبناء البيت الأوزبكى على أن يكون حكم بلاد ما وراء النهر للأمير (برهان خان) أحد أحفاد عبد الله رغم اعتراض الغالبية العظمى من أبناء البيت الأوزبكى ومن ثم سادت الفوضى السهول الشمالية الشرقية حيث برز فى تلك المناطق أحد أبناء زعماء التيموريين يوهو (براق خان) أحد أبناء التيموريين، ومن ثم عم الخراب المناطق الواقعة بين أترار شرقا وبخارى غربا، لكن فترة حكم برهان خان حفيد عبد الله شهدت ظهور احد حفدة أبى الخير مؤسس دولة الأوزبك لكن هذه الفترة لم تشهد هدوء ذلك كأنه فى عام (٩٦٣ هـ - ١٥٥٥ م) دارت حروب بين أطراف أبناء الأوزبك واستطاع بعض الأمراء دخول بخاى، لكن فى عام (٩٧٥ هـ - ١٥٦٧ م) جاءت وفود يقودها أحد أبناء التيموريين وقاموا بغزو بلاد ما وراء النهر من جديد وبلغ هذا الزحف مدينة سمرقند، وتمكنت هذه القوات عام

(٩٨٣ هـ - ١٥٧٧ م) بقيادة (باير خان) من طرد هؤلاء وإرغامهم على الارتداد عبر سيحون بعد أن شاعت الفوضى فى صفوف جيشه، وبهذا لم تخضع فرغانه لحكم الشيبانيين الأوزبك فقط بل سقطت كاشغر وختن أما الجنوب فى بلاد ما وراء النهر فقد تعرضت لهجمات متوالية من بقايا الأسرة المغولية وعظم شأنهم عند طشقند، ومع ذلك فقد بلغ الأوزبك من القوة مع نهاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى لم تبلغه من قبل عهد مؤسسها الشيبانى محمد.

وكانت ضغوط الأوزبك على حدود الصوفيين الفارسيين الشرقية قد دفعتهم إلى يعقد صلح من السلطان سليمان القانونى سلطان تركيا عام (٩٦٩ هـ - ١٥٦١ م) وحدثت صراعات داخلية بين أبناء البيت الصفوى الشيعى بين الشاه عباس المعروف بالأكبر فى صراعه مع (خدانبرة) مما دفع الأوزبك للتحرك جنوبا واستيلاء على هراه بعد حصارها سبعة أشهر واشعلوا الدمار فى خراسان، لكن الشاه عباس عندما تخلص من متاعبة اليداخلية وضع هدفه فى طرد الأوزبك من الأقاليم الواقعة جنوب نهر جيحون لاسيما أن العثمانيين قد أخذوا يهددون بلاده مرة أخرى لاسيما أن العثمانيين عملوا من جانبهم على مساعدة الأوزبك فى الشرق الأقصى لانهم سنيون مثلهم كيدا فى الشيعة الفارسية.

وكانت بلاد ما وراء النهر تتعرض لانقسامات داخلية، فنجد أنه فى عام (٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ م) كانت هناك حكومة ثنائية فى بخارى وسمرقند، وكان أول من ظهر على سطح الاحداث الأمير عبد الله ليتمكن من القضاء على روح الانقسام ويحقق النصر فى بلاد ما وراء النهر وفى شرقها وغربها وصارت له السيادة من خراسان وطبرستان، وكان طبيعيا أن يسيطر على إقليم سمرقند، ولم يكن عبد الله خان هذا الذى تحمل مسئولية توحيد أراضى الأوزبك يعارض فى الاعتراف بوجود بعض الأمراء الأوزبكيين فى السلطة فى أنحاء أخرى من البلاد، وكان قد حدث نزاع بين السلطان عبد المنعم وبعض الامراء لاسيما بعد أن حدث تحالف بين أمراء خوارزم وسلاطين إيران، وكان هذا التحالف نتيجة لسياسة العداء التى كان يتخذها الأوزبك إزاء الخوارزميين، ومن هنا فإن الاقليم الصغير الذى يقع عند حوض جيحون، الأدنى (ما وراء النهر الصفيرة) قد عانى كثيرا من الصراعات والانقسامات التى ادت به إلى الفقر الحضارى لكن قواتهم العسكرية

بقيت قادرة على صد الهجوم القادم من الشرق من بقايا المغول والصين، أو من الجنوب من الصفويين الفرس بل أنه حتى عام (٩٩٠ هـ - ١٥٨٢ م) ونحن على أبوب القرن السادس عشر الميلادى نجد أن هذه البلاد تعانى حروب مشتعلة مل جعلها تهمل شئون الحكومة الداخلية وساءت حالة أبناء بخارى وسمرقند وبلخ درة مدن إقليم التركستان التركى ,

بل أنه فى عام (١٠٠٤ هـ - ١٥٩٠ م) القرن الحادى عشر الهجرى ونهاية القرن السادس عشر الميلادى كان الأوزبك لازالوا يسيطرون على مشهد جنوبا ذلك، لانهم كانوا يشعرون باستقرار الأمر لهم فى هذه المدن والإقاليم، ذلك لأنهم قاموا بالعديد من الأعمال فى تلك الفترة الزمنية التى لازالت نذكر لهم مثل خان الأوزبك فى مشهد، ولكن مع قرب نهاية القرن السادس عشر الميلادى نجد أن الحالة تعود فى بلاد ما وراء النهر لحالة من الهدوء والاستقرار ويتم تنظيم المعالم الحضارية وشاعت شهرة الاقليم وحكامه حتى وفد إليها السفراء من الصين، لكن للحقيقة فان للتقدم الحضارى والثقافى والعلمى لم يبلغ فى عهد الأوزبك (٩٠٦ - ١٠٠٦ هـ / ١٥٠٠ - ١٥٩٧ م)، ما يقرب من مائه عام ما بلغته هذه المعالم الحضارية الإسلامية فى عهد التيموريين.

ولقد كانت الأسرة الأوزبكية هى تاسع أسرة حكمت بلاد ما وراء النهر (الطاهريين، الصفاريين، السامنيين، الغزنويين، الخوارزميين، والمغوليين الجنكيزيين، الأتراك التموريين، وبقايا المغول والصفويين ثم أخيرا الأوزبك) وإن كانت بعض المصادر تقسم تاريخ المغول والأوزبك كل منها إلى قسمين، ولكن نحن هنا نراهم أسرة واحدة فمن هنا يكون حكم الأوزبك ثامن أسرة حاكمة لهذا الاقليم بعد حكم العباسيين وهى تاسع أسرة كما ذكر ذلك أرمنيوس فاميرى فى كتابة تاريخ بخارى، لكن فترة حكم الأوزبك قد شهدت اهتمام بالغا بالعلوم الدينية الإسلامية وكانت التركية هى اللسان الغالب فى هذه البلاد طوال حكم الأوزبك وإن كانت الفارسية قوية فى الأقاليم الواقعة جنوب حوض نهر جيحون.

وكانت سقوط الأسرة الأوزبكية فى بداية القرن الحادى عشر الهجرى (١٠٠٠هـ) قد وضع نهاية لفترة لم تدم أكثر من مائة عام شهدت العديد من

الصراعات والانقسامات بل والحروب الأهلية الداخلية بين أبناء الأسرة التى أسسها أبو الخير وجاء بعده ابنه محمد شيبانى ليسير على نهج أبيه فى بناء الأسرة قوية يكون لها شأن تاريخى على مسرح الأحداث فى بلاد ما وراء النهر والذى كان يحلم بأن يكون له دورا لا يقل عن دور جنكيز خان أو تيمور لنك، لاسيما أن الأسرة الأوزبكيه هى عناصر مغولية تركية تأخذ من كل هذين الجنسين لتكون الأسره الأوزبكية نتيجة اختلاط ما بين جنسين، ومن ثم فإن هذه الأسرة والتى تعدد حكم أمرائها إلى الحد الذى لا نستطيع فيه المتابع لدراسة تاريخ هذه الأسرة أن يحدد الفوارق التاريخية بين حكم أى من هؤلاء الأمراء وما هو الشخص الوحيد الحاكم لهذه الاقاليم، ومن ثم فإن فتره حكم الأوزبك لبلاد ما وراء النهر لم تشهد حالة من الاستقرار مثلما حدث فى عهد السامنيين أو الخوارزميين أو التيموريين وإن كان لك لا ينكر وجود بعض المعالم الحضارية الإسلامية التى حالت أن تفضى الروم الإسلامية على هذه الأماكن التى تشكل حجر الزاوية فى الروح الإسلامية فى أواسط آسيا لاسيما أن المدن المشهورة بها مثل (بخارى، وسمرقند، ونسا، وترمذ، ونيسابور، ومرو ومشهد وغيرها) من المدن قد شهدت ظهور العديد من العلماء الذين أثروا الحياة العلمية والثقافية والحضارية واللغوية فى أنحاء العالم الإسلامى.

فالدور الذى لعبه علماء هذه المدن وأبناء التركستان، قد كان لهم دور رائع فى الفقه والحديث والتفسير والتاريخ والفلك والطب والحساب والجبر وغيرها من مختلف العلوم، ذلك لأن دور الأسرة السابقة لحكم الأوزبك قد لعبت دورا فى هذا التقدم العلمى وإن كانت فترة حكم الأوزبك لم تقدم للعالم الإسلامى شخصيات علمية مثلما ظهر فى الأسر السابقة لحكمها بلاد التركستان وبلاد ما وراء النهر.

***